الاستماع وأثره في تعليم العربية

د. عبد السلام السيد حامد

أستاذ النحو والصرف والعروض بجامعة القاهرة وجامعة قطر.

الاستماع وأثره في تعليم العربية

د. عبد السلام السيد حامد (*)

يُعدّ "الاستماع" في العصر الحديث من المهارات اللغوية الأربع المشهورة، وهي: القراءة والكتابة والتحدث والاستماع . والحديث عن هذه المهارات من الناحية التعليمية والتربوية كثير، و"السماع" أيضًا هو الوسيلة التي يكتسب من خلالها الطفل لغته الأم من أبويه وبيئته القريبة المحيطة به، ثم يُكمل تعلم اللغة نفسها عن طريق المدرسة بعد ذلك، هذا هو الطبيعي والمنطقي، غير أن الحاصل في عالمنا العربي شيء آخر، حيث إن الطفل يكتسب من أبويه وبيئته المحيطة به اللهجة الدارجة اكتسابًا طبيعيًا، ثم يُفرض عليه أن يتعلم العربية الفصيحة بعد ذلك تعلمًا غير طبيعي من خلال المدرسة، وهذه معاناة لكل أطراف التواصل اللغوي عندنا ومشكلة اجتماعية وثقافية وتعليمية، نحاول هنا أن نقدم لها سبيلاً إلى الحل من خلال طرح رؤيتنا للاستماع، وقد مس الدكتور مازن الوعر جوهر ما نريد بيانه وتفصيله في قوله: ((إنه من سوء الحظ أن الطفل العربي يكتسب اللهجة العامية اكتسابًا بيولوجيًا طبيعيًا، ولكنه يتعلم اللغة الفصحى تعلمًا تقنيًا، وهكذا يمكننا استغلال هذه الحقيقة البيولوجية وتطبيقها على الواقع العربي اللغوي، وذلك بنشر اللغة الفصحى من خلال بُعد أفقي طويل وعريض (بحيث يقترب تركيبها من آذان الناس وأفواههم في كل شارع ومنزل). ونعني بالبعد الأفقي التركيز على نشر الفصحى وتعليمها لكافة المستويات الشعبية دون التركيز على البعد العمودي إلا للمختصين الذين يريدون التعمق والتشعب، وهذا في رأيي أنجع وأفضل من التركيز على البعد العمودي الذي من خلاله نريد الطفل الصغير أن يكون فصيحًا. وهكذا فإنه يمكن للطفل العربي آنذاك أن يكتسب تلك اللغة الفصحى المتكلَّمة في محيطه بشكل طبيعي)) [1] . إن ما يشير إليه هذا الكلام من أن الصواب هو العناية بنشر العربية وتعليمها أفقياً في المجتمع كله، حتى تكون قريبة من آذان الناس وأفواههم في كل مكان - يعني - فيما يعنيه - إنزال العربية الفصيحة إلى الواقع وجعلها لغة حياة وممارسة بطرق مختلفة، من أهمها إتاحة فرص استماع إليها وجعلها لغة مسموعة؛ حتى يفعل ذلك فعله في اكتسابها بشكل طبيعي غير متكلف. إن هذا لَحَقٌّ لأهمية ((الاستماع)) وأثره الذي ينبغي أن يكون له في حل إشكال ازدواجية العامية والفصيحة وتعليم العربية، وهو ما نسعى إلى تقديم نهج تمهيدي عام له في هذا البحث، نرجو أن يفضي إلى تأسيس نظرية فيه، تنطلق

(*) أستاذ النحو والصرف والعروض بجامعة القاهرة وجامعة قطر.

(1) قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث: مدخل، للدكتور مازن الوعر ٣٢٧

من خصائص الثقافة العربية الإسلامية واللغوية ومخزونها ورصيدها، وما أضيفَ إلى ذلك في عصرنا الحديث من نظريات وتقنيات وإمكانات.

إننا يمكن أن نقوم بذلك من خلال الحديث عن نقاط محددة هي: مدخل عام، وأصول نظرية الاستماع العربية التي نفترضها، وصور الاستماع ومهاراته، وجدول تسجيل ملحوظات الاستماع.

أولاً- مدخل عام:

في هذا المدخل نذكر ثلاث مقدمات نظنها مضيئة ومهمة على النحو الآتي:

١- ثمة مهاد اصطلاحي لمفهوم "الاستماع" نشير فيه إلى أن المفردات المعجمية لألفاظ "الاستماع"، تمثل حقلاً دلالياً من المفردات المتعددة والمتقاربة والمتشابكة اللافتة للنظر والمثيرة لإشعاعات لفظية ودلالية أخرى. إننا هنا نتحدث عن: السمع والسماع والإنصات والإصغاء. وخلاصة ما ذكرته إحدى الدراسات في ذلك أن "السمع" عملية فسيولوجية تشمل استقبال الأصوات وتلقيها في الأذن، والدليل على ذلك أن "السمع" في اللغة هو ما قر في اللغة من شيء تسمعه، و"السماع" فيها هو السمع، وما التذته الأذن من صوت حسن، وفي الاصطلاح: "السمع" (Hearing – Audition [١]) نشاط الأذن المتمثل في تلقي الأصوات وتوصيلها إلى العصب المختص بإدراك الذبذبات الصوتية، وهو فطرة ونشاط لا إرادي.

أما "الاستماع" في اللغة فهو بمعنى "الإصغاء"، وفي الاصطلاح يُقصد به: الاستماع الإيجابي الهادف من أجل تحقيق أهداف منشودة قوامها الفهم والاستيعاب والتمييز، وبناءً على ذلك يكون "السمع" فطرة وعملاً تلقائياً، أما "الاستماع" فهو مهارة تحتاج إلى دربة وتركيز وإعمال الذهن، وغالباً ما يلازمها سكون وإنصات. ومن تعريفات الاستماع التربوية تعريف براون دون له بأنه: "عملية إنصات إلى الرموز المنطوقة ثم تفسيرها" [٢].

وأما "الإنصات" فهو في اللغة (السكوت والاستماع للحديث)، وفي الاصطلاح: تركيز الانتباه لآراء الآخرين وأفكارهم ومشاعرهم وتعبيراتهم اللغوية والجسدية، وهو يتطلب فهم الموضوع وتخزينه في الذاكرة. والفرق بين

---

[١] – انظر: موسوعة مصطلحات جامع العلوم الملقب بـ "دستور العلماء" للقاضي عبد النبي نكري ٤٨٥.

[٢] – تدريس مهارة الاستماع من منظور واقعي، لعبد الرحمن الهاشمي وفائزة العزاوي: ٣٢.

الاستماع والإنصات فرق في الدرجة، فالاستماع الجيد لا يأتي إلا من خلال الإنصات [١].

إن من ثراء المفردات في هذا المجال "الإصغاء" و"الإنصات"، وكلاهما بمعنى حسن الاستماع [٢]. ومن معاني "السماع": الغناء، وهذا دليل على الربط بين الاستماع والاستمتاع عن طريق العنصر الموسيقي، كما يحدث عند الاستماع إلى الشعر لتحقق الطرب فيه من خلال ما فيه من موسيقا وما يصاحبه من إنشاد. ومن معاني "السماع" كذلك: اللفظ أو الاستعمال الذي سُمعَ من العرب ورُوِيَ كما هو، وهو أول طرق أخذ اللغة وتلقيها عند اللغويين، ويقابله القياس [٣]، والوصف من ذلك: السماعي [٤]. ومن المعروف أن النحو العربي وُضع على أساس هذا السماع، فهو أول أصوله وأقوى دعائمه وهو يسبق القياس، وقد مثّلت عملية السماع التي قام بها اللغويون العرب في القرنين الثاني والثالث الهجريين أكبر عملية جمع لغوي وسماع حدثت في التاريخ [٥].

وإن من أهم دلالات السمع والاستماع وما يتعلق بهما ما ورد في الاستعمال القرآني، وسيتضح ذلك بعدُ في موضعه [٦].

وإذا استشرنا بعض معاجم المصطلحات اللغوية ذات اللسانين، فستستوقفنا بعض المصطلحات المهمة التي تضيء جوانب من مفهوم "الاستماع". ومن ذلك:

أ- نحو المستمع (listener's grammar)، وهو " مصطلح يستخدم أحيانًا للإشارة إلى جملة القواعد التي يستخدمها المستمع في تحليل الكلام المسموع، وفي قبوله أو تخطئته؛ وذلك خلافًا لنحو المتكلم (Speaker's grammar) " [٧].

---

(١) – انظر: تدريس مهارة الاستماع من منظور واقعي: ٤٢ – ٤٤، والمعجم الوسيط، والكليات لأبي البقاء الكفوي.

(٢) – انظر: المعجم الوسيط.

(٣) – انظر: المزهر للسيوطي، ١٤٤/١، ١٤٥.

(٤) – انظر: دائرة معارف القرن العشرين، لمحمد فريد وجدي ٣٠١/٥.

(٥) – انظر: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة ، للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ٣٩٧. وثمة مفاهيم أخرى ترتبط بمادة "السمع" لا تعنينا هنا، ومن ذلك: علم السمْع (Audiology)، وهو يختص "بدراسة وظيفة السمع مستعينًا في ذلك بعلمي التشريح ووظائف الأعضاء، وقياس السمع وعلاج عيوبه، وتحديد منطقة السمع عند الإنسان ونظريات السمع". دراسة السمع والكلام، للدكتور سعد مصلوح ١٧.

(٦) – بالإضافة إلى المعاني والاستعمالات الأصيلة التي ذكرت للاستماع، ثمة استعمالات جديدة له، ومن ذلك قولنا: "جلسة استماع" و"قسم الاستماع في الإذاعة". انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ، للدكتور أحمد مختار عمر١١٠٩/٣.

(٧) – معجم المصطلحات اللغوية (إنجليزي – عربي) للدكتور رمزي البعلبكي ٢٩٠.

ب- منهج سمعي لساني (audio-lingual method) وهو منهج خاص بتعليم اللغة الأجنبية استُخدم في أمريكا في منتصف القرن الماضي، وكان تعليم الكلام وفهمه يُقدّمان فيه على القراءة والكتابة، مع التركيز على التحاور وتكوين عادات كلامية سوية، ومن ذلك مثلًا: حفظ جمل نمطية تساعد على تكوين مثيلات لها[١].

ت- منهج سمعي بصري (audio-visual method) وهو منهج في تعليم اللغة الأجنبية وُضع في فرنسا في خمسينيات القرن الماضي، وفيه أيضًا يُقدّم تعليم الكلام وفهمه على القراءة والكتابة " ويمتاز عن سائر المناهج باستخدام نصوص مسجلة يسمعها الطالب وهو يشاهد صورًا متعاقبة مرافقة للتسجيل " [٢].

إن منهجي السمع السابقين وإن كانا خاصين بتعليم اللغة الأجنبية، لا يعدمان دلالة على أهمية الاستماع بشكل عام حتى في تعليم اللغة الأولى، مع الاعتناء بالحفظ لاستخدامه في تكوين جمل وأنماط جديدة بالقياس على الجمل والأنماط المسموعة.

٢- مفهوم المهارة يغلب عليه طغيان الجانب التربوي في تقديم مهارات اللغة، ولذلك كان من المعيب هنا الفصل الغالب في هذا الشأن بين الجانبين المعنيين به، وهما: علم اللغة (اللسانيات) وعلم التربية، برغم تقديم اللسانيات بعض المباحث والنظريات في هذا المجال من خلال اللسانيات التطبيقية وغيرها. ونظرة عابرة على بعض كتب المهارات تؤيد ذلك، حيث يكثر القول في مهارة "الاستماع" مثلاً عن واقع تدريس المهارة ومكونات الاستماع وكفاياته التعليمية وسائر ما يشبه ذلك [٣]. وبالإضافة إلى طغيان الجانب التربوي، أظن أن تناول المهارات يفتقد في كثير من الأحيان الإفادة من بعض الأصول التراثية وخصائص الثقافة العربية.

على أننا إذا توقفنا هنا عند مفهومي "اكتساب اللغة" و"المهارة اللغوية"، فسيتبين لنا بداءة أن الطفل وإن كان يكتسب بكفاءة عالية جدًا لغته الأولى من أبويه وبيئته المحيطة به خلال السنوات الثلاث الأولى من عمره وما حولها،

---

(١) – انظر: السابق ٦٢.

(٢) – السابق الصفحة نفسها.

(٣) – انظر من نماذج هذه الدراسات: تدريس مهارة الاستماع من منظور واقعي، واللغة العربية ومهاراتها في المستوى التعليمي لغير المتخصصين، لمحمد الداية ومحمد جمل.

وقد تستمر الفترة الخصبة للاكتساب الطبيعي إلى سن الثانية عشرة [١]، نقول برغم هذا، فإن عملية الاكتساب هذه تستمر مدى الحياة [٢]، وهذا أمر ينبغي أن يُستثمر من خلال إتاحة فرص واسعة متجددة للاستماع إلى العربية الفصيحة قبل الثانية عشرة وبعدها، نحاول بها أن نعوض امتلاء الذهن والذاكرة وانشغال اللسان بالعامية، ونثبت عن طريقها ما يمكن تثبيته من العربية السوية.

وأما المهارة فهي "أداء لغوي يتسم بالدقة والكفاءة فضلًا عن السرعة والفهم" [٣]، وإذا كانت مهارة الاستماع هي "قدرة المرء على إدراك الكلام المنطوق وفهمه من خلال معرفته باللغة [٤]"، فإننا نوسع هذا المفهوم ليشمل أيضًا الاستماع في مراحل عمرية مختلفة من أجل اكتساب العربية الفصيحة والتقاط أنماطها للقياس عليها والاقتداء بها.

والذي نأخذه من اللسانيات نظريًا في أمر المهارات أنه لم يكن في تعليم اللغة الأولى وتعلمها نظرية اختصت بمهارة من المهارات، بل إن جميع النظريات اتفقت على وجود المهارات الأربع المشهورة ، واجتهدت كل واحدة منها في تقديم الطريقة المثلى لها في تدريسها. وفي هذا الإطار ذُكر أن المهارات اللغوية تقوم على أسس ذهنية ثلاثة، هي: التحكم الذهني، والانتباه الواعي، والانتقاء المبرمج الذي يمكّن المتعلم من عزل مادة التعلم عما سواها حتى لا تختلط بغيرها [٥]. وكذلك تخبرنا هذه اللسانيات أن العمليات العقلية المستخدمة في تعلم المهارات بشكل عام هي: التصور، والإدراك، والتبصّر (وهو يرتبط بمعرفة ظواهر المجاز والقدرة على التجريد)، والتمييز (والنحو العربي إذا أحسن تعليمه ينمّي هذه المهارة)، والجمع (وهو قدرة تعمل على ترسيخ موضوعات التعلم وبخاصة اللغة والنحو)، والتفريق، والمبادأة، والمراجعة، والحكم، ويُقصد به أن المتعلم يصبح قادرًا على الحكم على ما تعلمه من حيث صحته أو عدم صحته، وكذلك على سلامة سلوك الآخرين أو عدم سلامته [٦].

---

(١) – ويرجع ذلك إلى طراوة القشرة الدماغية اليسرى ورخاوتها في هذه الفترة. انظر: قضايا أساسية في علم اللسانيات، للدكتور مازن الوعر ٣٢٨. وانظر في عوامل اكتساب اللغة في مرحلة الطفولة: معجم اللسانيات (إنجليزي – عربي) للدكتور سامي حنا وآخرَيْن ٧٤ – ٧٧.

(٢) – انظر: مقالات في اللغة والأدب، للدكتور تمام حسان ٣١٦.

(٣) – المهارات اللغوية: الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة للدكتور زين الخويسكي ١٣.

(٤) – معجم المصطلحات اللغوية، للدكتور رمزي البعلبكي ٢٩٠.

(٥) – انظر: اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج، للدكتور سمير استيتية ٤٢٣.

(٦) – انظر: السابق ٤٢٥ – ٤٢٨.

٣- إن الاستماع قرين النص، وهو متنوع في ثقافتنا العربية شديد الثراء، ويشمل في حياتنا المعاصرة: القرآن الكريم وما نسمعه من الأحاديث النبوية الشريفة، والشعر والخطب والأحاديث النثرية التي نتواصل بها في مناحي حياتنا المختلفة، من خلال أنواع مختلفة من الاستماع. وإذا كان علماؤنا القدماء قد أقاموا صرح قواعد العربية على رصيد هائل من السماع يتفق معه كثيرًا مفهوم المدونة اللغوية (Linguistic corpus) الذي هو عبارة عن " مسموع مسجّل يتكون من كلامٍ تكلم به بعض من يمثل حق تمثيل اللغة المراد وصفها "[١] ، عند علماء اللسانيات الغربيين المحدثين - فإننا نظن أن أنواع النصوص المختلفة التي أشرنا إليها لا بد أن تكون هي القائمة بوظيفة المكمّل المتجدد لمدونة السماع القديم، وهذا يعني في حقيقة الأمر شيئين، الأول: أن هذه المدونة التي من المكن وصفها بالقديمة المعاصرة يُفاد منها في تجديد دراسة العربية ووصفها، والثاني: أنه يفاد منها أيضًا في تعليمها.

والمحاور المهمة التي أرى الاستناد عليها في محاولة تأسيس نظرية عربية للاستماع هي:

أ- الغرض من النظرية: وهو تقديم إطار لتعليم مهارة الاستماع يسهم في تعلّم العربية الفصيحة واكتسابها.

ب- أصول النظرية.

ت- مادة الاستماع وتتمثل في: تسجيلات تلاوة القرآن لمشاهير القراء، وتسجيلات إلقاء القصائد بأصوات أصحابها من كبار الشعراء، وما يضاف لذلك من أية مادة صوتية يؤديها باللغة العربية الفصيحة المشهود لهم بالكفاءة، ومن أهم أمثلة ذلك: الخطب والأحاديث الإذاعية ونشرات الأخبار والمحاضرات والندوات.

ث- منهج الاستماع وطريقته: ويُعبِّر عن هذا ما أسمّيه بـ"جدول تسجيل ملحوظات الاستماع".

ثانياً – أصول نظرية الاستماع العربية:

في رأيي أن أصول نظرية الاستماع العربية ثلاثة: الأصوات، والأصول النصيّة، والأصول المعرفية والعلمية.

---

(١) –السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة ، للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ٢٦٧.

فأما الأصوات فهي مادة الكلام والسمع المكوّنة للغة بتجلياتها واستعمالاتها المختلفة، وهي – على وجه العموم - سبب الخفة والطرب الناشئين من سماع الصوت الجميل واللحن، والكلمات الساحرة والجمل العِذاب أو الكلام المحبب، وهذا ما حمل بشّارًا على أن يقول:

وكأنّ رجْـــــــــعَ حديـــــــثِها قِطعُ الرياضِ كُسينَ زهْرا

وكأنّ تحتَ لســـــــــــــانِها هاروتَ يَنْفـثُ فيـه سِحْرا

وكذا قول البحتري:

وحديثُها السحرُ الحلالُ لو انّه لم يَجن قتلَ المسلم المُتحرّز

والأصوات أيضًا هي أصول الكلمات والجمل التي إذا أحسن اختيارها وتأليفها أثرت في الأسماع وجذبتها، وإلا مجّتها ونفرت منها، تصديقًا لقول صفي الدين الحِلّي (٧٥٠ه) [١]:

إنّما الحيزبـــونُ والدّردبـــيسُ والطَّخا والثُّقـــاخُ والعَلْطبـيسُ [٢]

لغـــةٌ تَنْفـــرُ المسامـــعُ منـها حيـــن تُروى وتشمئزُّ النفوسُ

إنّ خيـــرَ الألفـاظ ما طـربَ الســـامعُ منهُ وطابَ فيه الجليسُ

لم نجدْ شاديًا يُغنّـــي "قفا نبـــكِ" على العُـــود إذ تُدار الكؤوسُ

درَستْ تلكمُ اللغات وأضحى مذهبُ الناسِ ما يقولُ الرئيسُ

إنّما هـــذه القـــلوبُ حـديدٌ ولذيـــدُ الألفـــاظ مِغناطيـــسُ

فأما الأصول النصية للاستماع فهي القرآن والحديث النبوي والشعر على وجه التحديد. فهذه الأنواع الثلاثة كلها أُخذ ونُقل في الأصل بالسماع والمشافهة، والرواية الشفهية أصل من أصول الثقافة العربية، وظهور التدوين والكتابة لم يلغ المشافهة والسماع في القرآن الكريم خاصة، فهذا أصل وطابع باق ومتجدد معه تعبر عنه الكلمة المشهورة " لا تأخذ العلم من صُحُفي ولا القرآن من مصحفيّ". ومن آيات ذلك في مجال الأحاديث النبوية الشريفة أن السماع هو الطريق الأول لرواية الأحاديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن رَوَى عمن سَمِعَ منه، ومما أُلف في هذا الفن كتاب "الإلماع إلى معرفة أصول الرواية

---

(١) – انظر: السماع في الشعر العربي للدكتور علي شلق ٣١١، وديوان صفي الدين الحلّي (مع اختصار وتصرف وحذف بعض الأبيات) ٦٢٤، ٦٢٥.

(٢) – الحيزبون: العجوز. الدردبيس: الداهية، والشيخ الكبير، والعجوز الفانية. الطَّخاء في الأصل بالمدّ: السحاب المرتفع. الثُّقاخ (بالقاف والخاء): الماء البارد الصافي. العلطبيس: الأملس البرّاق. انظر: القاموس المحيط.

وتقييد السماع" للقاضي عياض (ت ٥٤٤ه) وفيه يقول: " وقدّمت بين يَدَي ذلك أبوابًا مختصرة في عظم شأن علم الحديث وشرف أهله، ووجوب السماع له والأداء له ونقله، والأمر بالضبط والوعي والإتقان"[١] ، ومن شواهد مادة "السماع" نفسها قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((نضَّرَ الله امرأً سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلغه عنا كما سمعه؛ فربّ حامل فقهٍ غير فقيه)) ورُويَ أيضًا: ((وربّ حاملِ فقهٍ إلى من هو أفقه منه)) [٢]. ولذلك نجد راوي الحديث يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول، ويَذكر نص الحديث. وأي حديث نبوي نقرؤه الآن قراءة جهرية هو بالنسبة لسامعه نص مسموع.

ومن آيات المشافهة والسماع في الشعر أنه كان – وما يزال – يُنشد ويُلقى على جمهور يتلقّى ويسمع، ولا معنى للإنشاد والإلقاء إلا الأداء بطريقة خاصة فيها من التنغيم والتلوين الصوتي وتنويع النبر والوقف ما يناسب معاني الشعر، ولذلك قال الشاعر:

تغنَّ بالشعر إمّا كنتَ قائلَهُ إن الغناء لهذا الشعر مضمارُ [٣]

ولذلك قال ابن رشيق عن الشعر والشاعر والمقارنة بينه وبين صحاب اللحن: " وزَعَم صاحب الموسيقى أن ألذ الملاذّ كلها اللحن، ونحن نعلم أن الأوزان قواعد الألحان، والأشعار معايير الأوتار لا محالة ... فأما قيامه (أي الشاعر) وجلوس صاحب اللحون؛ فلأن هذا متشوَّفٌ إليه يجب إسماع من بحضرته أجمعين، بغير آلة ولا معين، ولا يمكنه ذلك إلا قائمًا أو مُشرفًا، وليدلّ على نفسه ويُعلم أنه المتكلم دون غيره .. " [٤]. وقد قيل إن الشعر الذي ورد في الحديث عن السمع وحاسته وما يتعلق بذلك أكثر مما ورد في الحديث عن الحواس الأخرى [٥].

ولمفهوم الاستماع في القرآن الكريم وقفة خاصة، وأول ما يستوقفنا في هذا إحصاء ألفاظ مادة "السمع" بالقياس لما يقابلها من مواد "حدّث" و"قرأ" و"كتب". فقد وردت مادة "سمع" بمشتقاتها المختلفة مئة وخمسًا وثمانين مرة (١٨٥)، ووردت مادة "حدّث" ستاً وثلاثين مرة (٣٦)، ووردت مادة "قرأ" ثمانياً وثمانين مرة (٨٨) أغلبها بلفظ "القرآن"، أما مادة "كتب" فقد ردت

---

(١) – الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، للقاضي عياض ٥.
(٢) – السابق ١٣.
(٣) – انظر في العلاقة بين الغناء والشعر: مقدمة ابن خلدون ٢/ ١٢٧٨.
(٤) – العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق ٢٦/١.
(٥) – انظر: السماع في الشعر العربي، للدكتور علي شلق ٥ ، ٦.

ثلاثمئة وتسع عشرة مرة (٣١٩) منها تسع وثمانون مرة فقط بغير لفظ "الكتاب". والجدول الآتي يوضح ذلك:

المادة	عدد مرات الورود في القرآن الكريم	ملحوظات
سمِع	١٨٥	
حدّثَ	٣٦	
قرأ	٨٨	أغلبها بلفظ القرآن
كتبَ	٣١٩	منها ٢٣٠ بلفظ "الكتاب"

ومعنى هذه الإحصاءات أن مادة "سمع" هي الأكثر استعمالاً من المواد الأخرى الثلاث، باستثناء مادة الكتابة بلفظ "الكتاب". وليس معنى ذلك أن مادة "السمع" في القرآن أكثر من مواد الكلام والحديث والقول ومشتقاتها؛ لأن مادة "القول" - لا شك – أكثر، ولكن ما نعنيه هو أن مادة "السمع" ليست بالقليلة. ويضاف إلى ذلك أن من أهم معالم السمع في القرآن ذكره مع "البصر" وتقديمه عليه، كما في قوله تعالى: " إن الله كان سميعاً بصيراً" [النساء: ٥٨]، وقوله: " " إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً" [الإسراء: ٣٦]، ومن المؤكد أن هذا التقديم يدل على الأهمية الخاصة للسمع، ويثبت هذا أنه عند المقارنة بين هاتين الحاستين في القرآن نجد معاني السمع تفوق وتزيد عن معاني البصر؛ ففي السمع – من هذه الناحية – معاني الحاسة وارتباطه بالعقل وتعطيله ومحدوديته، وفي "البصر" معاني الحاسة والضوء ومحدوديته [١].

ومما يدل على أهمية السمع ومكانته المتميزة عند مقارنته بالبصر، النظر إلى هذه المسألة باعتبار التقديم والتأخير- كما سبق - وباعتبار الصيغة. وقد تناول القضية بهذين الاعتبارين الدكتور فاضل السامرائي ، ومن الشواهد التي ساقها لذلك فيما يتعلق بالتقديم والتأخير قوله تعالى:

- "وهو السميع البصير" [الشورى:١١، وغافر:٢٠].
- "إنه هو السميع البصير" [الإسراء::١، وغافر:٥٦].
- "إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً" . [الإنسان:٢].

([١]) – انظر: المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم ٣٧٨/١ – ٣٨٢، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي ، وتدريس مهارة الاستماع من منظور واقعي ٢٠، ٢١.

- "والـذين إذا ذكّـروا بآيـات ربهـم لـم يخـرّوا عليهـا صُـمّاً وعُميانـاً". [الفرقان:٧٣].

فقد قدّم السمع على البصر لأنه أهم وأفضل في تلقي الرسالة؛ ففاقد البصر لا يمنعه فقد بصره من فهم مقاصد الكلام ووعي مقاصد الرسالة، والأعمى يمكن تبليغه بذلك بسهولة ويسر، بخلاف الأصم [١].

وباعتبار الصيغة، نجد أن الفعل "يستمع" ورد بصيغة الجمع في مقابل "ينظر" الذي ورد بصيغة الإفراد، وذلك في قوله تعالى: "ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصمّ ولو كانوا لا يعقلون. ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون. [يونس: ٤٢، ٤٣]، وقد قيل في تفسير ذلك إن المستمعين أكثر من الرائين على وجه العموم، وذكر الكرماني أنه فرّق بينهما " لأن المستمع إلى القرآن كالمستمع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بخلاف النظر فكان في المستمعين كثرة فجمع ليطابق اللفظ المعنى ... ووحد (ينظر) حملاً على اللفظ إذ لم يكثروا كثرتهم". وأضاف الدكتور السامرائي: "وربما كان ذلك لسبب آخر علاوة على ما ذكر فإن التأثر بالدعوة يكون بحسب أثر الاستماع لا بحسب الرؤية، فوحد النظر لأن رؤيته - صلى الله عليه وسلم - واحدة لا تختلف بالنسبة إلى الرائين، وجمع الاستماع لأن الاستماع يختلف أثره من شخص لآخر. فالكلام تختلف مواقعه من مستمع لآخر، ولذلك وحد الرائين لأنهم يرون شيئاً واحداً وجمع المستمعين لأن أثر ذلك مختلف عندهم" [٢]. ونستنتج من هذا أن المستمع أكثر من الرائي، وأن الاستماع أثره أوسع وأكثر، سواء بعدّ المستمع إلى القرآن كالمستمع للنبي – كما قال الكرماني – أو بالنظر إلى اختلاف آثار الاستماع بتعدد مواقع المسموع وتنوع تلقيه لدى المستمعين، كما قال الدكتور السامرائي.

إن من خصائص الاستعمال القرآني للسمع أنه ورد بخمسة معانٍ:

الأول: الإفهام، مثل قوله تعالى: " إنك لا تسمع الموتى" [النمل: ٨٠]، أي لا تفهمهم.

الثاني: إجابة الدعاء، مثل قوله تعالى: " إنك سميع الدعاء " [آل عمران: ٣٨].

الثالث: فهم القلب، كما في : " إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد " [ق: ٣٧]، وقوله: " إنهم عن السمع لمعزولون " [الشعراء:

---

(١) – انظر: التعبير القرآني، تأليف الدكتور فاضل السامرائي ٥٣، ٦١.
(٢) – التعبير القرآني: ٤٦.

٢١٢]، أي سمع الفؤاد، وقوله: " وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا " [البقرة: ٢٨٥، والنساء:٤٦]، أي سمعنا بقلوبنا وأطعنا بجوارحنا.

الرابع: سماع جارحة الأذن، كما في قوله تعالى: " سمعوا لها تغيظاً وزفيراً " [الفرقان: ١٢]، وقوله تعالى على لسان بني إسرائيل: " سمعنا وعصينا " [البقرة: ٩٣] أي سمعنا بالآذان وعصينا بالجنان.

الخامس: سمع الحق سبحانه وتعالى المنزه عن الجارحة والآلة، نحو قوله تعالى: " وكان الله سميعاً بصيراً " [النساء: ١٣٤] [١].

إذا كان ما سبق يمثل بعض سمات "الاستماع" في القرآن الكريم من حيث النقل وإحصاء الألفاظ ودلالتها، فإن ثمة سمات وظواهر أخرى صوتية تظهر جانب الاستماع وتؤكده، ومن ذلك:

١- علم التجويد الذي يُوظف لتحقيق النمط النموذجي لقراءة القرآن صوتياً من حيث المخارج والمدود وأحكام الحروف، بحيث يكون للقراءة طريقة خاصة فيها من جمال الأداء والتغنّي والتنغيم ما ليس في غيرها، مصداقاً لما ورد في الحديث: " ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن " [٢]، وبناء على ذلك وُجِد مجال معجمي يكاد يكون مميزًا يعبر عن هذا النمط المتفرد من القراءة، فإلى جانب التعبير بلفظ "القراءة" عن قراءة القرآن، نجد لفظي "التلاوة" و"الترتيل" يشيران إلى تميز هذه القراءة عن غيرها، وقد عُرّف "الترتيل" بأنه: " إرسال الكلمة من الفم بسهولة واستقامة " [٣]، وقيل في معنى: " ورتّل القرآن ترتيلاً " [المزمل:٤]: اقرأه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها [٤]، فالترتيل في القراءة هو التأني والتمهل وتبيين الحروف والحركات [٥]، ومما قيل في معنى "التلاوة" أنها قراءة القرآن قراءة متتابعة كالدراسة والأوراد الموظفة [٦].

إن مقام تجويد القرآن عندما يكون بحضور تالٍ وسامع يكون له تأثير بالنسبة للسامع، وقد سمعه الجن فقالوا: " إنا سمعنا قرآناً عجباً. يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً " [الجن:١،٢] ، فالكلمة المتلوة هنا يكون لها وقع خاص والاستماع إليها لا يُعدّ تواصلاً، بل هو تلقٍ وتأثر. ولكي نتصور هذا

---

(١) – انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي ٢٥٩/٣ - ٢٦٠.
(٢) – إحياء علوم الدين للغزالي: ٤٠٧/١ .
(٣) – انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني ٣٤١.
(٤) – انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز أبادي ٣٥/٣.
(٥) – انظر: كيف نتعامل مع القرآن العظيم، للدكتور يوسف القرضاوي ١٥٩ .
(٦) – انظر: الكليات لأبي البقاء ٣٠٨.

التأثر نذكر المال الآتي لتعبير "إنا أنزلنا" المألوف لنا في القرآن، مع أن توقفنا عنده يطلعنا على تتابعات صوتية مدهشة؛ فهو تعبير يتميز بالتبديلات المختلفة لحرفي الألف والنون: (إن/نا/أن/زل/نا)، فحرف النون المضعف في كلمة التأكيد "إن" التي لا يمكن ترجمتها، يتم مدها ونطقها أنفياً طبقاً لقواعد التجويد. ثم يتبعها ألف مد قبل حرف الانفجار الحلقي الهمزة. أما النون الأنفية المضعّفة والمنغلقة فتوجد نوعاً من التوتر، وتعطي شعوراً بطاقة مستردة تنفجر متدفقة دلالياً وسمعياً في لحظة تالية لهذه الألف الممدودة. وفي المقاطع التالية فإن العامل السمعي المؤكد يتولد من الغنة والألف الساكنة ليأخذ شكلاً جديداً في صيغته النطقية: (أن/زل/نا). وأما تركيبية "أنز" فيتم إبرازها صوتياً طبقاً لقواعد التجويد الخاصة بالإخفاء ... وأما "أن" الأولى فتجد صداها الجانبي في "نا" الخاصة بالمقطع الأخير ... والنتيجة ... سلسلة غامضة معقدة ومتشابكة من الترددات الكاملة والجزئية والمعكوسة والشد والإطلاق، الملتصقة بحرف اللين مركبة من (صوتي) "أ" و "ن" والتوقف على الانسيابية. وهذا الواقع يعضده الإيقاع غير القياسي للمقاطع الخمسة الطويلة المتتابعة، والنتيجة الدائمة للمقاطع الطويلة التي تدفع القارئ والمستمع (على) التمعن والتدبر في الجانب الشفهي للصوت " [1]. وبناء على ذلك يمكن لهذه الأشكال الصوتية المتحققة من خلال التجويد أن تتحول إلى قناة أساسية في عملية التواصل بين النص والمستمع، وتنشأ منها " صلات دلالية وانفعالية وسماعية وتكون ناقلة للمعلومات والمعاني " [2].

٢- أن إحياء فكرة ترتيل القرآن وربطه بالاستماع – وهي الأصل في أخذه – كانت مشروعاً قدمه الدكتور لبيب السعيد سنة ١٩٥٩م لتسجيل القرآن كله بالقراءات العشر وثماني طرق بحيث يشكل هذا ثمانين قراءة كاملة، وكانت بداية الإصدار الأول من ذلك بصوت الشيخ محمود خليل الحصري وظهرت سنة ١٩٦١م، وقد أنجزت فيما بعد تسجيلات بقراءات أخرى. وقد كان الغرض من ذلك تجديد تلاوة القرآن وترتيله، وإتاحته وتيسيره للاستماع وإحياء تلقيه بهذه الطريقة خشية طغيان تلقيه بالشكل المكتوب[3].

والآن بعد شيوع التسجيلات الصوتية للقرآن وكثرتها وانتشارها ودخول هذه التسجيلات عالم التقنيات الحديثة والإعلام وشبكة المعلومات، صار الاستماع إليه بأصوات وأداءات مختلفة ميسراً ومتاحاً في أي وقت ومكان، ولم

---

(1) – بلاغة النور: جماليات النص القرآني، لنفيد كرماني، ترجمة محمد أحمد منصور وآخرين: ٢٤٧، ٢٤٨.
(2) – السابق: ٢٤٨.
(3) – انظر: السابق ٢٢٧، ٢٢٨.

يعد مقيدًا بمسجد أو إذاعة أو موسم عبادة، وهذا اليسر يجب الإفادة منه في التعامل مع النص القرآني؛ لأن التلاوة الصوتية المسموعة تظل هي الطريق المهم المؤثر في معايشة القرآن والعربية معاً، فضلاً عن أثرها في الحفظ وترسيخه. وانظر إلى شواهد ذلك من أثر سماع هذه التسجيلات في مسلمي جنوبي شرق آسيا حفظًا وتلاوة وأداءً ومحاكاة.

وأما الأصول المعرفية والعلمية للاستماع، فمن ذلك في مجال التعليم والعلوم قول ابن خلدون عن كيفية اكتساب اللغة واعتماد ذلك على الاستماع أولاً: " فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم، يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم؛ كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيُلقّنُها أولاً، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك، ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم، واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم. هكذا تصيّرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل وتعلمها العجم والأطفال. وهذا هو معنى ما تقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع " [1] . وفحوى ذلك أن اللغة تكتسب هنا عن طريق سماع مجموع جمل اللغة المتجدد، ثم محاولة التكلم ثم الممارسة ثم التكرار.

ويقول ابن خلدون أيضاً مشيراً إلى السامع : " اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها. وليس ذلك بالنظر إلى المفردات وإنما بالنظر إلى التراكيب. فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع، وهو معنى البلاغة " [2]. ومما ذكره ابن خلدون في هذا الشأن أنه تحدث عن اكتساب الملكة وربطه بالسمع والتفطن إلى الخصائص التركيبية، قال: " وهذه الملكة - كما تقدم – إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه " [3].

ومن الأصول المعرفية أيضاً للاستماع، درْسُ الصوفيين لقضية "السماع" وآثاره وآدابه. وهو عندهم من وسائل المعرفة واللذة، ويشمل كل ما من شأنه أن يحث على الطاعة ورقة القلب، كسماع القرآن الكريم والذكر وما يدور في

---

(1) – المقدمة: ٣/ ١٢٧٩ .
(2) – السابق: ١٢٧٨/٣، ١٢٧٩ .
(3) – السابق نفسه: ١٢٨٩/٣.

مجالس العلم والوعظ [1]، ومما ورد في ذلك قول أبي بكر الكتاني: " سماع العوام على متابعة الطبع، وسماع المريدين رغبة ورهبة، وسماع الأولياء رؤية الآلاء والنعماء، وسماع العارفين على المشاهدة، وسماع أهل الحقيقة على الكشف والعِيان، ولكل واحد من هؤلاء مصدر ومقام " [2].

ومن أهم ما ورد عند الغزالي في ذلك بيانه مقامات السماع ودرجاته، وفي هذا يقول: " اعلم أن أول درجات السماع: فهم المسموع وتنزيله على معنى يقع للمستمع، ثم يثمر الفهمُ الوجدَ، ويُثمر الوجدُ الحركة بالجوارح. فلْيُنْظَرْ في هذه المقامات الثلاثة " [3]. ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره في المقام الأول من اختلاف الفهم باختلاف أحوال المستمع، ومن ذلك قول الشاعر[4]:

ودادُكـــمُ هجـــــرٌ وحبّكـــمُ قِلـىً ووصلُكمُ صَرْمٌ وسِلْمكمُ حربُ

فهذا البيت يمكن سماعه على وجوه مختلفة بعضها – كما قال – حق، وبعضها باطل.

ومن الأمثلة على هذه المقامات أيضاً ما ذكره الغزالي في المقام الثاني من الروايات الدالة على تأثر أرباب القلوب ووجدهم عند سماع القرآن، ومن ذلك قول النبي – صلى الله عليه وسلم – " شيبتني هود وأخواتها "، وكذلك بكاؤه – صلى الله عليه وسلم – وقوله: "حسبُك" لابن مسعود، عندما وصل في قراءة سورة النساء إلى قوله تعالى: " فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً " [5]. [النساء:٤١].

وقد قاد بحثُ الصوفيين في السماع إلى نظرهم في الجانب المتعلق منه بالغناء، وكان لهم في ذلك مباحث ونظرات، منها مبحث مراتب الصوت الطيّب وسماعه المباح عند الغزالي، فقد قال إن الصوت الطيب ينقسم إلى موزون وغيره، والموزون ينقسم إلى المفهوم – كالأشعار – وغير المفهوم كأصوات الجمادات. وكل هذا على مراتب، كما يأتي:

الأولى: سماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب؛ ذلك أن للإنسان عقلاً وخمس حواس، ولكل حاسة إدراك، وفي مدركات تلك الحاسة ما يُستلذ وما يُستكره، فلذة النظر في المبصرات الجميلة وكرهها في الألوان الكدرة القبيحة،

---

(1) – انظر: السماع عند صوفية الإسلام، للدكتورة فاطمة فؤاد ٢٠، ٢١.
(2) – السابق: ١٩.
(3) – إحياء علوم الدين للغزالي: ٤٠٨/٢.
(4) – انظر: السابق ٤١١/٢، ٤١٢.
(5) – انظر: السابق نفسه ٤٢٢/٢.

وللشم الروائح الطيبة وهي في مقابلة الأنتان المستكرهة، وللذوق الطعوم اللذيذة وهي في مقابلة المرارة المستبشعة، وللمس مثل ذلك، وللعقل لذة المعرفة والعلم، في مقابل الجهل والبلادة. وكذلك للأصوات المدركة بالسمع ما تستلذه كصوت العنادل والمزامير، وما تستكرهه كصوت الحمير.

الثانية: النظر في الصوت الطيب الموزون كصوت العندليب وسائر الطيور.

الثالثة: إنشاد الشعر، وهو موزون ومفهوم، وهو مباح، وقد أُنشد بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يبتسم، وقد كان يُحدى له في السفر، وقد كان أنجشة يحدو بالنساء والبراء بن مالك كان يحدو بالرجال، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " يا أنجشة رُويدَك سَوْقك بالقوارير "، ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمان رسول الله - صلى الله عليه وسلم – وزمان الصحابة – رضي الله عنهم – وما هو إلا أشعار تؤدى بأصوات طيبة وألحان موزونة.

الرابعة: النظر في الصوت الطيب الموزون من حيث إنه محرك للقلب ومهيج لما هو الغالب عليه، وفي مناسبة النغمات الموزونة للأرواح وتأثيرها فيها " ولا ينبغي أن يظن أن ذلك لفهم معاني الشعر ... وكيف يكون ذلك لفهم المعنى، وتأثيره مشاهَد في الصبي في مهده؟ فإنه يُسكته الصوتُ الطيّب عن بكائه وتنصرف نفسه عما يبكيه إلى الإصغاء إليه. والجَمَل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثرًا يستخفّ معه الأحمال الثقيلة، ويستقصر لقوة نشاطه في سماعه المسافات الطويلة، وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولّهه، فتراها إذا طالت عليها البوادي واعتراها الإعياء والكلال تحت المحامل والأحمال، إذا سمعت منادي الحداء تَمدّ أعناقها وتصغي إلى الحادي ناصبة آذانها وتسرع في سيرها، حتى تتزعزع عليها أحمالها ومحاملها، وربما تتلف أنفسها من شدة السير وثقل الحمل وهي لا تشعر به لنشاطها " [1].

ثالثاً – صور الاستماع ومهاراته:

الاستماع له أنواع وصور مختلفة تتحدد على أساس المستمع والمتحدث ونوع النص المسموع، وبناءً على هذا يكون من أنواع الاستماع: المتبادَل وغير المتبادَل، والاستماع المقرون بالحديث، والاستماع الأكاديمي، والتحليلي الناقد، والاستماع النفعي، كما في سماع الخطب والأخبار والنشرات، ويكون منها

([1]) – إحياء علوم الدين، للغزالي ٣٩٠/٢، ٣٩١.

كذلك الاستماع الاستمتاعي، وهو يكون في حالة استرخاء وإعجاب بالصوت والأداء [١].

على أن أهم أنواع الاستماع الاستيعاب؛ لأنه هو الهدف الأهم، ولمكانته العظمى في التواصل اللغوي " وفهم الرسالة بين المتحدث والمستمع، ولاحتوائه الأسس النفسية المتعلقة بالإدراك والتذكر والاسترجاع " [٢].

وللاستيعاب من خلال الاستماع أربعة مستويات: الهامشي: ويقصد به أن يكون المستمع واعياً للضجيج والأصوات المحيطة به، والتقديري: وهو الاستماع من أجل المتعة والسرور، والانتباهي: وهو الاستماع لفهم رسالة المتكلم وتفسيرها، والنقدي: وهو الاستماع للتحليل والحكم وتقييم رسالة المتكلم [٣].

وأما مهارات الاستماع فهي:

١- تحليل سيل الحديث إلى كلمات وعبارات ذات معنى.

٢- تعرّف أقسام الكلم.

٣- الربط بين المنطوق وخلفية المستمع المعرفية.

٤- تعرف المضمون البلاغي والوظيفي لمنطوقٍ ما.

٥- تفسير دلالات الإيقاع والنبر والتنغيم.

٦- استنباط المعلومات المحورية من نصوص طويلة.

٧- إدراك الأفكار الرئيسة والفرعية.

٨- إصدار الحكم على ما في النص.

٩- فهم المعاني والمفردات من خلال السياق.

رابعاً – جدول تسجيل ملحوظات الاستماع:

إذا أردنا مثالاً لتنفيذ ما أقترحه في البحث، فيمكننا أن نحقق منهج الاستماع الذي أدعو إليه من خلال تكليف أبنائنا وطلابنا في المدارس والجامعات بالاستماع إلى سورة من سور القرآن الكريم ذات صفحات محدودة كسورة الحديد مثلًا، ومطالبتهم بالاستماع إليها عدة مرات، ثم تسجيل ملحوظات الاستماع في جدول نسميه "جدول الاستماع"، ثم تُحلل الملحوظات وتُناقش

---

(١) – انظر: المهارات اللغوية ، الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة... للدكتور زين كامل الخويسكي ٣٧- ٤٢.
(٢) – تدريس مهارة الاستماع من منظور واقعي: ٢٢.
(٣) – انظر: السابق: ٣٢، ٣٣.

معهم، ثم تُعطى الخلاصة والنتائج في نهاية المطاف. وفي جدول الاستماع هذا، ثمّة مَنْزلة تصف ما يتعلق بنوع النص (أعني القرآن أو الشعر مثلاً) أو حالة التعامل معه (الاستماع) أو تصف الأمرين معاً، وثمة مَنْزلة كذلك تبيّن عدد مرات الاستماع، والمنزلة الرئيسة هي التي تُسجَّل فيها تعليقات المستمِع على: إدراك وحدات الكلام وأبنيتها وتمييزها [1]، وما حفِظه وأمكنه تذكّره وترديده، والأفكار، والمضمون البلاغي، وإدراك الظواهر الصوتية – كالتنغيم- ودلالاتها وإيحاءاتها، وما شابه ذلك. وهناك منزلة أخيرة لتسجيل أية ملحوظات أخرى.

ويمكن الدمج بين مهارتي القراءة والاستماع من خلال جدول آخر تُوضع فيه منازل خاصة بكل منهما؛ وذلك لصنع التكامل بين هاتين المهارتين من خلال هذا المنهج.

إن طريقة الاستماع تلك تُعنى في مجملها بمجموعة من المفاهيم أهمها: القرآن الكريم ومعايشته وفهمه، والشعر وتذوقه، والحفظ وأهميته، ومفهوم "الاستماع الاستمتاعي". وأظن أن تقديم مهارة الاستماع بهذه الطريقة العملية، يمكن أن يضيف الكثير في مجال تعلّمها وتعلّم العربية وخدمة الثقافة العربية الأصيلة بشكل عام.

(1) – تهتم اللسانيات التطبيقية الحديثة في حقل تعليم اللغة بالجانب التركيبي كثيراً؛ باعتبار أن إهمال النظر إلى الجملة يكون له مردود ضعيف في التعليم. انظر: مباحث تأسيسية في اللسانيات للدكتور عبد السلام المسدي ٢١٦، ٢٣٠.

(١)جدول تسجيل ملحوظات الاستماع إلى سورة الحديد

الحالة	الحد الأدنى وعدد المرّات	النتائج والتعليقات	الملحوظات
١- الاستماع إلى السورة (مجوّدة أو مرتّلة)	الحد الأدنى: ثلاث مرات	• الأصوات والكلمات والإيحاءات: • تمييز الجمل ووحدات الكلام: • الأفكار والمعاني: • الصور البلاغية: • العبارات والجمل التي يتم تذكُّرها وترديدها: • الانطباع العام:	

(٢) الجدول التكاملي لتسجيل ملحوظات قراءة سورة الحديد والاستماع إليها

الحالة	الحد الأدنى وعدد المرّات	النتائج والتعليقات	ملحوظات
١- قراءة السورة بتريث قراءة صامتة دون سماع	الحد الأدنى: مرّتان	• الأصوات والكلمات والإيحاءات: • تمييز الجمل ووحدات الكلام: • الأفكار والمعاني: • الصور البلاغية: • العبارات والجمل التي يتم تذكُّرها وترديدها: • الانطباع العام:	
٢- الاستماع إلى السورة (مجوّدة أو مرتّلة)	الحد الأدنى: ثلاث مرات	• الأصوات والكلمات والإيحاءات: • تمييز الجمل ووحدات الكلام: • الأفكار والمعاني: • الصور البلاغية: • العبارات والجمل التي يتم تذكُّرها وترديدها: • الانطباع العام:	

الحالة	الحد الأدنى وعدد المرّات	النتائج والتعليقات	ملحوظات
٣- **قراءة السورة قراءة جهرية أمام مستمع مراقب متقن**	مرة	• تسجيل الأخطاء:	
٤- **قراءة تفسير مختصر ومبسط للسورة**		• الأصوات والكلمات والإيحاءات: • تمييز الجمل ووحدات الكلام: • الأفكار والمعاني: • الصور البلاغية: • العبارات والجمل التي يتم تذكُّرها وترديدها: • الانطباع العام:	
٥- **قراءة أخيرة للسورة قراءة صامتة**	مرة	• الأصوات والكلمات والإيحاءات: • تمييز الجمل ووحدات الكلام: • الأفكار والمعاني: • الصور البلاغية: • العبارات والجمل التي يتم تذكُّرها وترديدها: • الانطباع العام:	

المصادر والمراجع

- إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي: دار التوزيع الإسلامية – القاهرة – ط١- ٢٠٠٥م.

- الإلماع في أصول الرواية وتقييد السماع، للقاضي عياض بن موسى اليحصبيّ، تحقيق السيد أحمد صقر: دار التراث بالقاهرة، والمكتبة العتيقة بتونس- ط٢- ١٣٩٨ه- ١٩٧٨م.

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي: تحقيق محمد علي النجار وعبد العليم الطحاوي: المكتبة العلمية – بيروت.

- بلاغة النور، جماليات النص القرآني، نفيد كرماني، ترجمة محمد منصور وآخرين: منشورات الجمل – بيروت – ٢٠٠٨م.

- تدريس مهارة الاستماع من منظور واقعي، د. عبد الرحمن الهاشمي، ود. فائزة العزاوي: دار المنهج للنشر والتوزيع – عمّان – ط١ – ٢٠٠٥م.

- التعبير القرآني، تأليف الدكتور فاضل صالح السامرائي: ساعدت جامعة بغداد على نشره – ١٩٨٨.

- دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي: دار المعرفة – بيروت – ط٣- ١٩٩٨م.

- دراسة السمع والكلام، للدكتور سعد مصلوح: عالم الكتب – القاهرة – ١٩٨٠م.

- ديوان صفيّ الدين الحلّي: دار صادر – بيروت – د. ت.

- السماع عند صوفية الإسلام، للدكتورة فاطمة فؤاد: الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٧م.

- السماع في الشعر العربي، للدكتور علي شلق: دار الأندلس للطباعة والنشر- بيروت - ط١، ١٩٨٤م.

- السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: منشورات المجمع الجزائري للغة العربية – الجزائر – ٢٠٠٧م.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد: دار الجيل – بيروت – ط٥ – ١٩٨١م.
- القاموس المحيط، للفيروز آبادي: مؤسسة الرسالة – بيروت - ط٦ - ١٩٩٨م.
- قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث: مدخل، للدكتور مازن الوعر – دار طلاس – دمشق – ط١ – ١٩٨٨.
- الكليات لأبي البقاء الكفوي: مؤسسة الرسالة – بيروت – ط٢ – ١٩٧١م.
- كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟ للدكتور يوسف القرضاوي، دار الشروق – القاهرة – ط٧- ٢٠٠٧م.
- اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج، للدكتور سمير استيتية: عالم الكتب الحديث بإربد وجدارا للكتاب العالمي بعمّان – ط٢ – ٢٠٠٨م.
- اللغة العربية ومهاراتها في المستوى الجامعي لغير المتخصصين، للدكتور محمد الداية والدكتور محمد جمل: دار الكتاب الجامعي – العين – ط١ – ٢٠٠٤م.
- مباحث تأسيسية في اللسانيات للدكتور عبد السلام المسدي: مؤسسات عبد الكريم للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، تحقيق أحمد جاد المولى وآخرين: دار الجيل – بيروت – د. ت.
- معجم اللسانيات (إنجليزي – عربي) للدكتور سامي حنا وآخرَين: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – ١٩٩٧م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، للدكتور أحمد مختار عمر: عالم الكتب - القاهرة – ط١ – ٢٠٠٨م.
- معجم المصطلحات اللغوية (إنجليزي – عربي) للدكتور رمزي البعلبكي: دار العلم للملايين – بيروت – ط١- ١٩٩٠م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي: دار الحديث – القاهرة – ٢٠٠٧م.

- المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، لمحمد بسام الزين: دار الفكر المعاصر ببيروت، ودار الفكر بدمشق – ط٢ – ١٩٩٦م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة: ١٩٦٠م.
- مفردات ألفاظ القرآن، تأليف الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي: دار القلم – دمشق – ط٥ – ٢٠١١م.
- مقالات في اللغة والأدب، للدكتور تمام حسان: عالم الكتب – القاهرة – ط١- ٢٠٠٦م.
- مقدمة ابن خلدون، تحقيق الدكتور علي وافي: دار نهضة مصر – ط٣.
- المهارات اللغوية، الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة، للدكتور زين كامل الخويسكي: دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – ٢٠٠٩م.
- موسوعة مصطلحات جامع العلوم الملقب بـ "دستور العلماء" للقاضي الفاضل عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – ط١ – ١٩٩٧م.